

التحركات الدبلوماسية في المرحلة الراهنة :

توقف مهمة كيسنجر لم يوقف الخط الأميركي في المنطقة ثقة أكبر ومستوى أعلى للمبادرة الأميركية بقلم عدنان بدر

التي هو ما يلي :

١ - هو اقتراحها صيغة مرحلية لمؤتمر جنيف ، تكون المرحلة الأولى منها مركزة على البحث في انسحاب من الأراضي المحتلة . والثانية على بحث الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، أما الثالثة فعلى حقوق جميع دول المنطقة .

٢ - ضرورة اشتراك الأردن - على الأقل في المرحلة الأولى - على أساس ان الأردن هو الجهة الرسمية دوليا التي كانت مسؤولة عن الضفة الغربية عند احتلالها . وهذا الموضوع كان مدار محادثات السفير فينوغرادوف في عمان . كما تطرقت اليه محادثاته مع السيد ياسر عرفات .

٣ - اعلان السيد غروميكو خلال زيارة عبدالحليم خدام وبحضوره عن استعداد الاتحاد السوفياتي لضمان حدود اسرائيل في حال انسحابها من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وتكرار ذلك الاعلان في صحيفة « البرافدا » .. وقد جاء هذا الاعلان في الفترة التي بدأت فيها اسرائيل بإبداء شكوك حول مستقبل الضمانات الأميركية ، في أعقاب ما جرى في الهند الصينية .

٤ - ظهر في الحديث السوفياتي عن مؤتمر جنيف ، دعوة جديدة نسبيا على الكلام السوفياتي السابق حول الموضوع نفسه ، وهذه الدعوة الجديدة هي القول بضرورة التحضير الدقيق لنجاح المؤتمر .

وفي هذا النطاق بدأت موسكو حوارا عاجلا مع مختلف الاطراف . وكانت زيارة السيد فينوغرادوف للمنطقة التي اجري خلالها محادثات مع كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات بداية لهذه المرحلة من الاتصالات المكثفة ، تلاها استقبال العاصمة السوفياتية لكل من اسماعيل فهمي وعبدالحليم خدام ثم وفد منظمة التحرير برئاسة عرفات .

وإذا كانت موسكو في جميع هذه الاتصالات ، وفي كل ما صدر عنها حول الموضوع ، ما تزال مصرة على مواقفها المعلنة سابقا ، والتي يمكن تلخيصها بـ : ضرورة عقد مؤتمر جنيف في أسرع وقت ممكن ، وضرورة انسحاب اسرائيل من كامل الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ وضمها « الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني » واعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وضرورة اقامة الدولة الفلسطينية .. إذا كانت موسكو ما تزال مصرة على هذه المواقف الأساسية ، فان ما بدا جديدا في اتصالاتها المشار

بها هو ما يلي :

١ - هو اقتراحها صيغة مرحلية لمؤتمر جنيف ، تكون المرحلة الأولى منها مركزة على البحث في انسحاب من الأراضي المحتلة . والثانية على بحث الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، أما الثالثة فعلى حقوق جميع دول المنطقة .

٢ - ضرورة اشتراك الأردن - على الأقل في المرحلة الأولى - على أساس ان الأردن هو الجهة الرسمية دوليا التي كانت مسؤولة عن الضفة الغربية عند احتلالها . وهذا الموضوع كان مدار محادثات السفير فينوغرادوف في عمان . كما تطرقت اليه محادثاته مع السيد ياسر عرفات .

٣ - اعلان السيد غروميكو خلال زيارة عبدالحليم خدام وبحضوره عن استعداد الاتحاد السوفياتي لضمان حدود اسرائيل في حال انسحابها من الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧ ، وتكرار ذلك الاعلان في صحيفة « البرافدا » .. وقد جاء هذا الاعلان في الفترة التي بدأت فيها اسرائيل بإبداء شكوك حول مستقبل الضمانات الأميركية ، في أعقاب ما جرى في الهند الصينية .

التحرك الروماني :

على مقربة من التحرك السوفياتي ، قام الرئيس الروماني تشاوشيسكو بزيارة سريعة الى كل من سوريا ومصر .. وكان السيد تشاوشيسكو قد زار الأردن سابقا ، وطالما كانت رومانيا على مقربة من الوساطات والاتصالات في الشرق الأوسط ، وهي الدولة الاشتراكية الوحيدة التي ما تزال تحتفظ بعلاقات دبلوماسية مع اسرائيل . والشئ الجديد في زيارة الرئيس الروماني ، هو دعوته قبل زيارته الأخيرة للمنطقة الى عقد مؤتمر جنيف على أساس القرار ٢٢٢٦ الذي صدر عن الجمعية العامة في الجلسة التي حضرها عرفات وبذلك تسقط (معارضة) منظمة التحرير ذلك المؤتمر .. تلك المعارضة التي كانت تقول بـ « رفض الاشتراك في مؤتمر جنيف ما دام أساسه القرار ٢٤٢ الذي يتعامل مع قضيتنا كمشكلة لاجئين » .



التحرك المصري - السوري

بالرغم من توقف مهمة الدكتور كيسنجر ، وبالرغم من ان الوزير الأميركي وحتى رئيسه فورد لم يجملا مصر اية مسؤولية في ذلك التوقف ، فقد لوحظ ان النظام المصري لم يقطع امه من وساطة الولايات المتحدة .. ولا فقد ثقته بها .. لا بل أكثر من ذلك راح يقدم المزيد من التنازلات على أمل تجديد تلك الوساطة .

فقناة السويس التي كان الرئيس السادات يقول انه لن يفتحها ما لم يجر انسحاب اسرائيلي جيد ، قام الرئيس السادات نفسه وبعد عودة كيسنجر الى واشنطن ، بالاعلان عن عزمه على فتحها بدون ذلك الانسحاب .. وفي خطوة الرئيس المصري هذه تلوح غير مباشر باستعداد النظام المصري لانفاس اسرائيل ، فادى الى توقف مهمة كيسنجر .

وإذا ما قارنا هذا الموضوع بتصريح الرئيس السادات نفسه الذي سبق واعلان فيه ان الحرب لا تحل مشكلة الشرق الأوسط .. وإلى التصريحات المتبادلة بين الرئيس المصري ورئيس الوزراء الاسرائيلي التي وردت على شكل « تهديد » لكنها في مضمونها تقر بالامتناع عن الضرب في المعنى بحال تجدد الحرب ، نجد ان النظام المصري ما حافظ على اتجاهه في تليين او ازالة العقبات عن طريق كيسنجر حتى بعد ان توقفت مساعي الأخير .

اما النظام السوري ، فقد سارع الى اقرار قانون يسمح لشركات النفط الاجنبية بالعمل في سوريا ، وذلك في الوقت الذي تسعى فيه حتى الانظمة الرجعية للسيطرة على العمليات النفطية في بلدانها . ومن الواضح ان الهدف السياسي لهذا القرار هو التأكيد للفرق عامة وللولايات المتحدة خاصة على ان سياسة « فك الارتباط » على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي ، والتي تعطلت بما سمي « الانفتاح » واخذت طريقها في ظل « فك الارتباط » العسكري ، واعادة العلاقات مع اميركا ، على ان هذه السياسة ما تزال تشكل التهج العام للنظام ..

التحرك الاسرائيلي :

بالإضافة الى ذلك ، تبنى النظامان المصري والسوري دعوة السعودية لعقد مؤتمر الرياض الثلاثي ، الذي جرى بعد يوم واحد من زيارة الملك حسين لرياض ، فكان - بالرغم من احكام « المصالحة » (!) بين دمشق والقاهرة - تأكيدا من النظامين المصري والسوري لاستمرار الثقة بالخط الأميركي في المنطقة (خاصة وان الوزير احمد

البريطاني كان قد صرح عشية المؤتمر بان سياسة المنظمة) .. كما كان المؤتمر - بالحضور غير الرسمي له - « الميل » تجاه النظام الاردني في السابع والاربعين منظمة التحرير .. وقد تاكد ذلك الولايات المتحدة .. بالرغم من كل ما اذيع حول رغبة تجديد تلك الوساطة .

فقناة السويس التي كان الرئيس السادات يقول انه لن يفتحها ما لم يجر انسحاب اسرائيلي جيد ، قام الرئيس السادات نفسه وبعد عودة كيسنجر الى واشنطن ، بالاعلان عن عزمه على فتحها بدون ذلك الانسحاب .. وفي خطوة الرئيس المصري هذه تلوح غير مباشر باستعداد النظام المصري لانفاس اسرائيل ، فادى الى توقف مهمة كيسنجر .

وإذا ما قارنا هذا الموضوع بتصريح الرئيس السادات نفسه الذي سبق واعلان فيه ان الحرب لا تحل مشكلة الشرق الأوسط .. وإلى التصريحات المتبادلة بين الرئيس المصري ورئيس الوزراء الاسرائيلي التي وردت على شكل « تهديد » لكنها في مضمونها تقر بالامتناع عن الضرب في المعنى بحال تجدد الحرب ، نجد ان النظام المصري ما حافظ على اتجاهه في تليين او ازالة العقبات عن طريق كيسنجر حتى بعد ان توقفت مساعي الأخير .

اما النظام السوري ، فقد سارع الى اقرار قانون يسمح لشركات النفط الاجنبية بالعمل في سوريا ، وذلك في الوقت الذي تسعى فيه حتى الانظمة الرجعية للسيطرة على العمليات النفطية في بلدانها . ومن الواضح ان الهدف السياسي لهذا القرار هو التأكيد للفرق عامة وللولايات المتحدة خاصة على ان سياسة « فك الارتباط » على الصعيد الاقتصادي والاجتماعي ، والتي تعطلت بما سمي « الانفتاح » واخذت طريقها في ظل « فك الارتباط » العسكري ، واعادة العلاقات مع اميركا ، على ان هذه السياسة ما تزال تشكل التهج العام للنظام ..

ولوحظ ان الزيارات المتكررة التي قام بها الوزراء الاسرائيليون لاميركا ، كانت تشدد على شرح الموقف الاسرائيلي المتصلب هذا وعلى تهديد الاطراف الاخرى باتفاق مع الاردن بحرج الاطراف العربية الاخرى في التسوية كما يحرج الولايات المتحدة امام تلك الاطراف .

التحرك الاردني :

لقد وجد النظام الاردني ، في « ميل » الانظمة العربية المستسلمة نحوه ، وفي تلويح اسرائيل باستعدادها للاتفاق معه ، وفي المظلة الأميركية السعودية التي تحميه دائما ، وكذلك في اقرار موسكو بضرورة حضوره المرحلة الأولى من جنيف على الأقل ، ومحادثاته مع الرئيس الروماني حول هذا الموضوع .. لقد وجد في كل ذلك فرصه الذهبية لاقتناص زمام المبادرة في الزاخرة بينه وبين قيادة منظمة التحرير .. فقام بتحديد نشاطاته داخل الضفة الغربية المحتلة ، كما زاد من كثافة اتصالاته على الصعيد العربي ثم انتقل بعد ذلك الى الصعيد الدولي فكانت زيارة الملك حسين لكل من فرنسا والولايات المتحدة .

كما ان النظام الاردني في لبنان ، وغرضه من ذلك بعيدا عن فتنة الكتائب في لبنان ، وغرضه من ذلك كان اضعاف الموقف العربي والدولي لمنظمة التحرير! هذا وقد علمت « الهدف » من مصادر مطلعة ان النظام الاردني قد عاد في اكثر اتصالاته الدبلوماسية الى التركيز على ضرورة الاستفتاء في الضفة الغربية بعد ان تعيدها اسرائيل اليه !!

تحرك منظمة التحرير :

في هذه الاثناء كانت قيادة منظمة التحرير تعاني من جملة ارتباكات داخلية وخارجية ، تضعف قدرتها على الحركة ، فبالإضافة الى ضعف موقفها اجمالا في وجه قواعدها ووجه قوى الرفض ، بعد انتفاح الطبيعة الامبريالية للتسوية ، وتجاه انعكاسات المواقف الثورية الكنبودية والفيتنامية التي رفضت اية مساومة على القتال وانتزعت التحرير الكامل بالقوة . كانت هناك ارتباكات داخل القيادة نفسها ، وقد عبرت ازمة قيادة جيش التحرير ، وازمة امتناع زهير محسن عن السفر مع الوفد الى موسكو عن مدى تلك الارتباكات .

كما ان امتناع اصحاب مؤتمر الرياض عن دعوة ياسر عرفات ، قد كشفت عن ان كل التهاك الذي قدمته تلك القيادة على عتبة الانظمة العربية الرجعية والمستسلمة في الفترة الاخيرة . لم يمكنها من نيل « الخطوة » لدى تلك الانظمة .

ومن جهة اخرى جاءت المرحلة السوفياتية لمؤتمر جنيف والمضمومة دعوة الاردن بحضور المرحلة الأولى من ذلك المؤتمر ، لتضيف مزيدا من البلبلة الى تصور قيادة المنظمة لحصتها من التسوية .

وفي ظروف الارتباك هذه كانت فتنة الكتائب المدبرة ضد حركة المقاومة ككل بتوجيهها نحو خلخلة الأرضية اللبنانية لوجود تلك الحركة ، وبما كشفته من

مواقف عربية رسمية « محايدة » ، كان ذلك كله دليلا اخر على اتلاس المراهنة على دور كبير لقيادة المنظمة في طبخة التسوية . ولم يبق بين اطراف دبلوماسية التسوية من يمكن الركون اليه من قبل تلك القيادة غير الاتحاد السوفياتي ، فكانت زيارة السيد ياسر عرفات لموسكو اخر سهم دبلوماسي في جعبة قيادة منظمة التحرير .. وليس من المستبعد في بحر المعارك الدبلوماسية الجارية حاليا في المنطقة من ان تزيد تلك الزيارة في غضب الانظمة العربية السائنة في الخط الأميركي ، ضد منظمة التحرير .. وهذا ما سوف تكشفه الأيام القليلة القادمة .

التحرك الأميركي :

كانت فترة توقف مساعي كيسنجر بالنسبة للسياسة الأميركية في المنطقة فترة إعادة تقييم على ضوء الأوضاع الدولية المستجدة : لا سيما الانتصار المكبودي الفيتنامي العظيم . وفي نفس الوقت فترة اختبار قوة المواقف الجديدة التي حصلت عليها الولايات المتحدة في المنطقة خلال الاعوام الماضية .

ومما لا شك فيه ان السياسة الأميركية بعد هزيمتها للكراء في الهند الصينية ، وفي ظل الازمة العامة الحالية للنظام الرأسمالي كله ، والحاجة المتنامية للمصالح الكبرى في الشرق الأوسط ، سوف تخرج من « إعادة التقييم » الجارية حاليا بالمزيد من التصلب والعدوانية في المنطقة .. وهنا لا يستبعد اطلاقا ان تعود الى دسق المساعدات العسكرية والاقتصادية على اسرائيل .

اما بالنسبة لاختبار المواقف ، فقد تاكد لواشنطن، ان علاقاتها باصدقائها الجدد في المنطقة اقوى بكثير من ان يدفع توقف مساعي كيسنجر اولئك الاصدقاء الى الارتباك في « احضان » الاتحاد السوفياتي !! وعلى هذين الاساسين ، جددت الولايات المتحدة مبادرتها الدبلوماسية بثقة اكبر وبمستوى اعلى .. فكانت دعوة فورد للمقاء مع كل من الرئيس السادات ورئيس وزراء العدو اسحق رابين التي اعلنت خلال الأيام الماضية تعبيرا مباشرا عن هذا المستوى الجديد لتلك المبادرة .

من كل ما تقدم يتضح ان الحرب الدبلوماسية ، ليست مسألة مواقف جيدة او تصريحات جميلة ، بل هي في الاساس مسألة علاقات ومصالح وموازن قوى .. وقد اكدت هذه التحركات بجملة ان موازين القوى السياسية في المنطقة ما تزال مائلة ميلا شديدا لمصلحة العسكر الامبريالي الصهيوني الرجعي ، وان اية مراهنة بالتالي على استخراج صيغة وطنية للتسوية من ضمن تلك الموازين ، هي مراهنة خاسرة تماما ■